

كتاب في نقاط: مستقبل الله، مقاربة عملية للروحانية في زماننا – ديباك شوبرا

*The Future of God, A Practical Approach to Spirituality for Our  
Times – Deepak Chopra*

محمد حسن

الكلمات المفتاحية: محمد حسن، مستقبل الله، The Future of God، ديباك شوبرا.

ما ستقرؤونه فيما سيأتي هو عرض لخلاصة الكتاب المبين أعلاه في نقاط وهذا العرض لا يعني أي تبني لأفكاره لا من قبل المترجم ولا من قبل إدارة معهد المعارف الحكمية.

خلاصة الكتاب

1. في الغرب، حصلت الكثير من الفظائع باسم الدين لذلك تراجعت شعبيته مع الزمن لصالح اللا دين.
2. لأن الله مفهوم تاريخي قدس يعتبره البعض بدائياً ويتنافى مع الحداثة.
3. يعتبر الكاتب أنك كقارئ لكتابه اليوم تعيش إحدى الحالات الثلاث الآتية:
  - أ- عدم الإيمان: لا تقبل بأن الله حقيقي وتعبر عن ذلك من خلال العيش وكأن الله لا يحدث أي فرق في حياتك.
  - ب- الإيمان: تتأمل بأن الله حقيقي وتعبر عن هذا الأمل بأنه إيمان.
  - ت- المعرفة (اليقين): ليس لديك أي شك بأن الله حقيقي وتعيش وكأنه حاضر دوماً.
4. يقترح هذا الكتاب أنه يمكنك الانتقال من عدم الإيمان إلى الإيمان ومن ثم إلى اليقين من خلال الفهم الحقيقي لكل مرحلة فحين تفهم كل نواحي عدم الإيمان يمكنك أن تبقى ضمن دائرته أو تنتقل للدائرة الأعلى. و حين تكتشف كل نواحي الإيمان يمكنك فعل الأمر عينه، القبول به كميدانك الروحي أو الانتقال إلى ما هو أعلى. و حين تعرف الله تكون كأنك اكتشفت واقع "دوران الأرض حول الشمس"، فتزول كل الخرافات السابقة.
5. يعتبر الكاتب أن البشر يدركون الله بنسختين. الأولى هي "الله بنسخة 1.0" و هي نتاج تصورنا الذاتي لله كذات موجودة ولكن ليس هناك اتصال بيننا وبينها سوى في حالات محددة كالصلاة والدعاء وأهم خصائص هذه النسخة:

1. الله يحمي من الأذى

2. الله يضع القوانين ويثيب ويعاقب بحسب تلك القوانين.

3. الله يريدنا أن نعلم الأرض ونشكل المجتمعات والحضارات.

4. الله غفور رحيم.

5. الله مصدر الإلهام.

6. الله هو الملهم والمرشد الأخلاقي.

7. الله يفيض بالوجود على سائر المخلوقات.

6. أما "الله بنسخة 2.0" فهي الإدراك البشري لله بطريقة تجعل الإنسان قادراً على تحقيق الاتصال معه بشكل دائم ومستمر وأهم خصائص هذه النسخة:

1. تختبر معنا معنى أن تسلم أمورك لله وأن تصبح جزءاً مما هو أكبر منك.

2. تجربة التسليم المطلق تؤدي لمستوى أعمق من العلاقة وتغير فيك فترى سبب وجودك وماهية أهدافك.

3. الذوبان في الله.

7. ينتقد الكاتب صراحة رموز الفكر الإلحادي وفي مقدمتهم ريتشارد داوكنز Richard Dawkins. سنة 2006 كتب ريتشارد داوكنز كتاب "وهم الله" The God Delusion ووجهه لجمهور محدد وهو كل من يتبع دين آبائه ولكنه غير مقتنع به ويريد

الخروج منه ويشعر بعدم القدرة على ذلك. وقد قدم نفسه على أنه يطور روح الإنسان ويحارب لأجل الحريات. وقد قال في الصفحة الأولى من كتابه: "أن تكون ملحداً ليس بالأمر الذي يستدعي اعتذاراً. بل على العكس، هو أمر يجعلك تقف بفخر وتنظر إلى الأفق". وقد رأى شوبرا Chopra أنه ليس من الصعب تحديد المشاكل والأخطاء في كتاب "وهم الله". إلا أن الكثير من القراء أعجبوا به لأسباب نفسية بحسب رأي شوبرا حيث يطمئن داوكنز المشككين بوجود الله فيؤكد لهم عدم وجود أي سبب ليعيشوا الشعور بالذنب أو التشويش أو الضياع أو الوحدة. ويرفع من معنوياتهم حين يؤكد لهم أنهم يقفون على مشارف عالم جديد أفضل من أي عالم تسوده الروحية.

8. ولكن إن كانت فكرة الله رجعية لدرجة يرفضها أي عقل راجح بحسب داوكنز، لماذا قضى أينشتاين وقتاً وهو يحاول إيجاد مكان لله في العلوم الجديدة الذي كان رائداً فيها؟ ولماذا لم يعتبر أن "العلم لا يجتمع مع الدين"؟ أليست نظرة أينشتاين بأعمق من داوكنز؟ بمن علينا أن نثق؟ كلها أسئلة يطرحها الكاتب.

9. ويتحدث الكاتب عن أينشتاين فيقول أنه على عكس ما قاله داوكنز في كتابه حيث صرح أن أينشتاين كان ملحداً، فإن أينشتاين كان مهتماً بروح الدين الذي اعتبره أساسياً في حياة أي إنسان. يقول أينشتاين في إحدى الجلسات الخاصة في برلين سنة 1929 وفق ما ينقل والتر إسحقسون Walter Isaacson في مذكراته التي نشرت حديثاً: "حاول أن تحترق بكل أدواتنا المحدودة أسرار الطبيعة، وستجد أنه وراء كل القوانين والعلاقات القابلة للتفكيك، يبقى هناك شيء خفي وغير ملموس وغير قابل للتفسير. ومن أقواله أيضاً: "إن ميل البشر نحو الدين ليس صدفة بل يثبت أن هناك سبب جوهري لكل الوجود".

10. صحيح أن أينشتاين تخلى عن الإيمان المسيحي واليهودي في المرحلة المتوسطة من عمره إلا أن إجابته في عمر الخمسين لأحد المحاورين حين سأله عن النبي عيسى عليه السلام كانت: "لا أحد يستطيع أن يقرأ الإنجيل دون أن يشعر بالوجود الواقعي ليسوع. شخصيته تنبض في كل كلمة. لا يمكن لأي قصة خرافية أن تكون مملوءة بهذا القدر من الحياة". ويمكن لنا أن نختصر فكرته عن التدين في عبارة له قالها سنة 1930 مفادها: "أن نستشعر ما هو خلف أي تجربة والذي لا يمكن الإحاطة به بعقولنا، ذلك الشيء الذي يصلنا منه الجمال والرفعة بشكل غير مباشر، هذا هو التدين". هذه العبارات بحسب شوبرا تفتح الطريق نحو نظرة واسعة ومتقبلة للبحث عن الروحية.

11. يعود الكاتب إلى داوكنز ليتحدث بإسهاب عن الأخطاء في نظريته التي يُمكن تلخيصها بالآتي:

1. يهاجم داوكنز بإلحاده الشكل التقليدي الكنسي من الإيمان وكأنه الأوحده.

2. يعتقد بعدم وجود مصدر ذكي للكون. ووجود كون عشوائي لا يفسر ظهور الحياة الذكية.

3. يساوي بين الحقيقة في العالم المادي وما تدركه الحواس الخمس وهذا لا يتناسب مع ثورة فيزياء الكم (كوانتم) التي فتحت الباب لما هو أبعد من المحسوس.

4. يرجع كل شيء لقوانين الطبيعة ولكنه لا يفسر من أين أتت هذه القوانين.

5. يعتبر نظرية التطور بديل عن المصدر الذكي على الرغم من أن "بقاء الأقوى" لا يفسر أصل الحياة.

6. يعتبر نفسه منطقياً ولكنه لا يفسر مصدر المنطق لديه. كيف يمكن لنشاط دماغي عشوائي أن ينتج النظام والمنطق؟

7. يقول أن البيولوجيا أساس المنطق دون أن يقول كيف تعلمت الذرات التفكير.

8. يرى الدماغ على أنه خاضع لقوانين "سبب - نتيجة". ولا يفسر الإرادة الحرة والإبداع والبصيرة.

9. ينفي داوكنز وجود النفس ويعتبرها وهم اخترعه الدماغ. على الرغم من عدم تمكن العلماء من تحديد نقطة مسؤولة عن تشخيص "الأنا" في الدماغ.

10. لا يمكن له أن يفسر كيف تتمكن النفس التي يعتبرها وهماً من أن يصبح لها معرفة بذاتها.

12. وكما قدم الكاتب شرحاً لأخطاء عشر في طرح داوكنز، قدم بمقابلها أسباب عشر لأهمية الإيمان في حياة الإنسان وهي:

1. الإيمان ليس أعمى بل معرفة تنتج من التجربة.

2. الإيمان هو إرادة السير نحو المجهول.

3. يعبر الإيمان عن التساؤل حول ما كان قبل الوجود.

4. يأتي الإيمان من الصمت الداخلي ومما يكشفه.

5. يجلب الإيمان الثقة إلى العالم الداخلي للبصيرة والحدس والمخيلة.

6. يقرب الإيمان المرء من مصدر الخلق.

7. يسمح الإيمان للذات الحقيقية بأن تتقدم وهي أعلى من الأنا.

8. يحقق الإيمان الاتصال بين العالم الداخلي للإنسان والعالم الخارجي.

9. يقضي الإيمان على الفرق بين الطبيعي وما هو خارق للطبيعة.

10. الإيمان بذاتك الأعمق هو إيمان بالله.

13. أما الأسباب العشر التي تعطي الله مستقبلاً في الفكر والوجدان الإنساني بحسب الكاتب فهي:

1. الله هو الذكاء الذي يخلق ويحكم ويبيّن ويصبح الكون.

2. الله ليس شخصية أسطورية. هو موجود بذاته.

3. الله ليس مخلوقاً. لا يمكن للكون أن يُظهر الله لأن كل ما هو سوى الله مخلوق.

4. الله موجود كمجال لكل الاحتمالات.

5. الله وعي محض، مصدر لكل الأفكار والمشاعر والأحاسيس.

6. يتجاوز الله كل التناقضات بما فيها الخير والشر.

7. الله واحد يخلق التعدد - فيخلق المراقب والمراقب وعملية المراقبة.

8. الله خير محض مصدر كل الفرح.

9. الله ذات الكون.

10. لا وجود إلا الله. الكون هو تجلي الله.

والحمد لله رب العالمين